(١١)

سلسلة

قصص الأنبياء

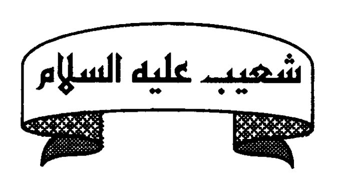
شعيب عليه السلام

تأليف

الشيخ /بكر محمد إبراهيم

مكتبة زهران
١٥ شارع الشيخ محمد عبده
خلف الجامع الأزهر ت ٥١٠٩٨٨٧

رقم الإيداع	١٨١٩٠ / ٩٩
ترقيم دولي	977-5096-61-8



أرسل الله عز وجل إلى مدين أخاهم شعيبًا ، يدعوهم إلى عبادته عز وجل وحده ويحذرهم من الشرك بالله ، كما فعل المرسلون قبله . ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحضهم على مكارم الأخلاق بالحكمة والموعظة الحسنة .

ولقد كان أهل مدين كفارًا طغاة بغاة - معتدون ظلمة - يقطعون السبيل - الطريق - ويخيفون المارة ، ويعبدون الأيكة ، وهي شجرة حولها غيضة ملتفة بها .

وكانوا من أسوأ الناس معاملة ، يبخسون - ينقصون - المكيال والميزان ، ويطففون فيه يأخذون زائدًا على حقهم ويدفعون بالناقص ، فلما دعاهم شعيب إلى عبادة الله وحده ونهاهم عن الشرك والإفساد في الأرض والتطفيف وغير ذلك من أفعال السوء التي اشتهروا بها استجاب له بعضهم فآمن به ، وكفر أكثرهم واستهزأوا به ، وسخروا منه ، وأغلظوا له القول ، ولم يكترثوا - يهتموا - لما توعدهم به وأنذرهم.

وكان عليه السلام خطيبًا مفوهًا - فصيحًا - قوي الحجة ، له تأثير بليغ في النفوس الطاهرة والقلوب الواعية ، وشأن الأنبياء جميعًا اتصافهم بالصدق والأمانة والفطانة - الذكاء -

روى ابن إسحاق بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ إذا ذكر شعيبًا قال : « ذاك خطيب الأنبياء » .

وقد ذكر الله تعالى قصته في سورة الأعراف وسورة الشعراء وغيرها . فقد قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الأعراف : ٨٥ - ٨٧] .

والبينة التي جاءتهم من ربهم هي معجزة خارقة للعادة وقعت على يديه تصـديقًا . له في دعوته . وقد أيد الله تـعالى كل نبي بمعجزة جعلها برهان صدقه .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ إنهم كانوا يأخذون من المارة ضرائب على المرور تبلغ عـشر ما معهم أو أكـثر ، ويسلبون أموال من شاءوا . ويقتلون من شـاءوا . ويقعدون على الطرقات يمنعون من المرور من شـاءوا ويأذنون لمن شاءوا ويبـغون أن تكون

سبيل الله معوجة لا يسلكها أحد ممن أراد الهدى ، فقد كانوا يؤذون المؤمنين ويحملونهم على العودة في ملتهم بشتى السبل ، ويرغمونهم على السير في طريق الضلال والإفساد في الأرض ، وانتهى بهم الأمر إلى طريق مسدود ، فالمؤمنون لن يتركوا دينهم الذي اعتنقوه وقد هداهم الله إليه مهما وجدوا في سبيل ذلك من مشقة وأذى . وقد ذاقوا حلاوة الإيمان بعد أن ذاقوا مرارة الكفر ، فقرروا أن يعيشوا بإيمانهم سعداء ، أو يموتوا بإيمانهم شهداء ، وسألوا الله أن يحكم بينهم وبين قومهم بالحق ، ويقضي فيهم بما يشاء . وهو الحكم العدل اللطيف .

فلما يأس الكفار من ردهم عن دينهم ، وأعيتهم الحيل - أرهقتهم - أنذروا شعيبًا ومن معه بأن يختاروا بين الرجوع إلى ملتهم والخروج من أرضهم ، فما كان من شعيب عليه السلام إلا أن تلطف بهم وأحسن إليهم القول ، وأبلغ في الحجة ، ولكن القوم كانوا في ضلالهم يعمهون ،لم يعبأوا بما قاله لهم بل لم يفقهوه على وجهه الصحيح . فتفننوا في إيذاء المؤمنين ، وأغوى بعضهم بعضًا بالبقاء على ملتهم ، والتمسك بعاداتهم السيئة ، وتقاليدهم البالية التي كانت تماثل ما كان عليه قوم لوط .

قال الله عز وجل : ﴿ **قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن**

يشَاءَ اللَّهُ ربُّنَا وَسعَ ربُّنَا كُلَّ شَيْءٍ علْمًا عَلَى اللَّه توَكَّلْنا ربَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وبيْنَ قَوْمنا بالْحَقِّ وأَنتَ خَيْرُ الْفَاتحين ﴿٨٩﴾ وَقَالَ الْمَلأُ الَّذين كَفَرُوا من قَوْمه لَئنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ .

[الأعراف : ٨٨ - ٩٠] .

وقد تكلم شعيب بالأصـالة عن نفسه وبالنيابة عن المؤمنين به فجاء الكلام بصيغة الجمع لأن شعيبًا عليه السلام يعبر عن رأيهم، وعن مـوقفـهم من قـومـهم ، وعن شدة تمسـكهم بدينهم ، في أسلوب يبهر العقول ويملك القلوب .

قال : أولو كنـا كارهين . أي : أيكون هذا موقـفكم منا ، وتهديدكم لنا بـالنفي من بلدنا وهو شركة بيننـا وبينكم لإصرارنا على التمـسك بعقيدتنا وكـراهيتنا لما تدعوننا إليـه من العودة إلى ملتكم رغم أن الدين لا يكون عن إكـراه ، وأن العقيـدة لا تقوم على التسلط والقهر - الغلبة - فكيف تكرهوننا على دين لا نقبله وعقـيدة لا نرضاها . إنه لا إكـراه في الدين ، وإننا لن نكرهكم على ما ندعـوكم إليه ، فكيف تكـرهوننا على ما تدعـوننا إليه ، وتهددونا بالطرد ذلك ظلم بين وعدوان أثيم .

﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّه كَذبًا إِنْ عُدْنَا في ملَّتكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ منْهَا ﴾ . أي : إننا قد عرفنا الحق وآمنا به عن فهم ،إذا عدنا في ملتكم ملة الشـرك والظلم فـإن هذا يكون افتـراء على الله - أي كذبًا - .

﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ﴾ إننا لن نعود أبدًا إلى ملـتكم بعد أن نجانا الله منـها ، إلا أن يكون ذلك عن مشيئة سابقة لله فينا . وعن قدر قدره علينا ، فذلك من شأن الله وحده . أما نحن في ذات أنفسنا فـعلى عزم صادق ألا نعود في ملتكم أبدًا ﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ فهو سبحانه وحده الذي يعلم مصـائر الأمور ولا يدري أحد قـدره المقدور له ، ولا مصيره الذي هو صائر إليه ، فذلك علمه عند علام الغيوب ، أما نحن فمطالبون أن نستقيم على الحق ، وأن نفوض الأمر لله الذي وسع كل شيء علمًا أي أحاط بكل شيء عـلمًا لا يغيب عنه علم شيء من مخلوقاته .

﴿ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ فلا نعتـمد إلا عليه ، ولا نثق إلا بفضله، ولا نـستسلم إلا له ، ولا نخـضع إلا إليه ، ولا ننتـصر عليكم إلا به .

﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ أي: ربنا احكم واقض بـحكمك بيننا وبين قـومنـا بحكمك العـادل ، وأنت خير من حكم وخير من عدل .

وفي هذا تقـرير للواقع لأن اللـه تعالـى لا يحكم إلا بالحق وإشـعـار للخـصـوم بأنهم لا يؤخـذون إلا بـالحق ، ولكنهم لا يعـترفـون بحكم الله ولا يؤمنون بـقضـائه وعـدله ، فقـالوا في كبرياء: لئن اتبعتم شعيبًا فيما جاءكم به ودعاكم ، إليه لخسرتم السيادة والرياسة والملك والمال ، وصـرتم كسائر الناس الذين دانوا

- خضعوا - لكم .

والذين قالوا هذا : هم كبراؤهم وسادتهم - فإنهم يخشون الدين الذي يوحد الكلمة ويجمع الصف ، ويسوى بين الغنى والفقير في الحقوق ، ويأخذ للضعيف حقه من القوي، وينشر العدل في ربوع الأرض ، ويطهرها من الفساد الذي ينتفع به هؤلاء المفسدون ويحاربون من أجل استمراره لضمان مصالحهم ومفاسدهم واستمرار الظلم والعلو في الأرض .

يقول تعالى : ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ﴾ [الأحزاب : ٦٧] .

وقد استمر شعيب عليه السلام يدعو قومه على بصيرة - علم ومعرفة وفهم - من ربه وهم يسخرون منه ، ويستهزئون به، ويتوعدونه بالقتل والرجم بالحجارة . وقد ذكر الله تعالى في سورة هود طرفًا من القصة وما قالوه لشعيب : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ

عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ [هود : ٨٤ - ٨٨] .

لقد سخروا منه واستهزأوا به ، وهم يعلمون أنه من أوسطهم نسبًا وأعرقهم شرفًا ، وأرجحهم عقلاً ، وأرشدهم رأيًا، وأحسنهم خلقًا . وأنبياء الله جميعًا كانوا عند أقوامهم قبل دعوتهم إلى الله بالمنزلة العالية من الاحترام والتقدير لحسن سيرتهم ، واستقامة سلوكهم ، فلما أعلنوا فيهم أنهم رسل الله وأنهم يحملون إليهم كلمته ، قاموا عليهم ينكرون منهم ما كانوا يعرفون حسدًا وبغيًا - ظلمًا - .

لقد دعا شعيب قومه أولاً إلى عبادة الله وحده فالتوحيد هو أخطر شيء في حياة الناس ولا يستقيم أمر الناس إلا بتوحيد الله سبحانه وإخلاص العبادة له وحده . ثم دعاهم إلى إيفاء الكيل والميزان - عدم النقصان - وقال لهم : إني أتوسم فيكم الخير وإني أخاف عليكم وأضن بكم أن تكونوا من أهل الشقاوة في الدنيا والآخرة ، وأنتم والحمد لله في رخاء وسعة فما الذي يحملكم على التطفيف في الكيل والإخسار في الميزان ، بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين ، أي ما تدخرونه عند الله من عمل صالح خير لكم من ادخار الأموال وكنزها إن كنتم مؤمنين بالله حقًا ، فإن الله لا يقبل الأعمال الصالحة إلا من المؤمنين . وما أنا عليكم بحفيظ أي : وما أنا برقيب عليكم ، ولا بمسئول عنكم إن

كفرتم لأني قد أبلغتكم رسالة ربي ، ونصحت لكم فعليّ البلاغ وعلى الله الحساب . ولكن القوم استمروا على ما هم عليه من السوء في الأفعال والأقوال ، وازدادوا استهزاءً به وبصلاته ، ووصفوه بالحلم والرشد على جهة الاستخفاف والتهكم . فقال لهم : أرأيتم إن كنت على بينة من ربي أي : أخبروني كيف تنكرون على ما أدعوكم إليه ، وقد جئتكم بآية خارقة للعادة تثبت لكم أني رسول الله إليكم . وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ، أي ما أريد أن أنهاكم عن شيء وأفعله ، ولعل القوم اتهموه بذلك وقالوا له : أتريد يا شعيب أن تنهانا عن تنمية أموالنا كما نشاء ، ثم تعمد - تقصد - إلى التجار فتبيع منهم وتشتري بالطرق التي نبيع بها ونشتري فتفوز بالربح الوفير دوننا، وهذا القول يدل على سفاهتهم وحمقهم - طيشهم وجهلهم - .

إن شعيبًا قد بذل أقصى الجهد لهداية قومه ، وكان يستعين بالله تعالى في كل خطوة يخطوها ، وفي كل نصح يسديه إليهم. ويستمد منه العون والتوفيق في كل شيء .

﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ إن قوله هذا يا **بني العزيز** : قد جمع شعب الإيمان كلها ، فالمؤمن هو الذي يريد الإصلاح ويدعو إليه، وهو الذي يعتمد على حول الله وقوته في تحقيق ما يريد ، وليس هناك أعظم من التوكل على الله تعالى والثقة بفضله والإنابة إليه والرجوع والتوبة .

أخذ شعيب عليه السلام يذكرهم بما وقع للأمم السابقة ، ولكنهم صموا آذانهم وألغوا عقولهم ، وأنذروه بالرجم - القذف بالحجارة حتى الموت - فأنذرهم بالعذاب وقضى الأمر فأخذتهم الصيحة التي صاحها جبريل عليه السلام فيهم فزلزل بهم الأرض فهلكوا عن آخرهم .

انظر إلى قدرة الله تبارك وتعالى كيف أعطى ملائكته قدرات هائلة وسرعات كبيرة فوق تصور العقل حتى إن صيحة أطلقها جبريل عليه السلام تدمر القرى والبلاد وقد ثبت علميًا أن للصوت قوة هائلة وأنه يسبب التدمير والقتل والهلاك إذا وصل إلى ذبذبة - اهتزاز - معينة . وأن للصوت موجات تحت الصوتية وموجات فوق الصوتية لا يسمعها البشر وقد استخدم العلماء في مجال الطب وغيره من المجالات هذه الموجات الصوتية في إجراء عمليات تفتيت الحصوة في جسم الإنسان وكي الأورام وغيرها من المجالات والأعمال .

يقول سبحانه وتعالى : ﴿وَيَا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ

سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ﴾ [هود : ٨٩ - ٩٥] .

لقد ذكرهم شعيب بالذين أهلكوا من قبلهم بسبب كفرهم بالله وتكذيبهم رسله ، وهم قوم نوح ، وقوم هود ، وقوم صالح ، وقوم لوط .

فقال لهم : لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد . أي لا يحملنكم الخلاف بيني وبينكم على ارتكاب الجرم واكتساب المنكر لئلا يصيبكم مثل ما أصاب هؤلاء وأقربهم إليكم قوم لوط وقد عرفتم ما حل بهم وهم أقرب إليهم إما في الزمان ، وإما في المكان ، وإما في الجرم ، أو في ذلك كله وهو الصحيح إن شاء الله .

وقوله : ﴿ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ أي اعملوا على ما أنتم مقيمون فيه من كفر وضلال إني عامل على ما أنا عليه فما تعلمون مني وتنكرونه على سوف ينجلي لكم الأمر وينكشف لكم الحال عن عملكم وعملي ، وسيطلع من عملكم عذاب يخزيكم - يذلكم - ويومئذ تعلمون من هو الكاذب ، ومن كان

في ضلال مبين ، أما متى ذلك ؟ فعلمه عند ربي ، ولكنه آت قريب لا ريب فيه - لا شك فيه - فانتظروا يومكم هذا ، وارتقبوا إني معكم رقيب .

وقد قال الله عز وجل : ﴿ **إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ** ﴾ ولم يقل : إني معكم مرتقب ليدل على أن شعيبًا كان بالمكان الرفيع الذي ينظر منه إلى قومه ، وهم في موقف الدون - السفول والدناءة - ليكون بمنزلة القاضي الجالس على منصة القضاء .

وأهل مدين هم شعب مدين بن إبراهيم عليه السلام ، وكانت بلادهم تقع في بلاد الحجاز مما يلي - يقارب ويجاور - الشام . وقد رأى العلامة ابن كثير أن مدين هم أصحاب الأيكة وأنهم ليسوا شعبين بل شعب واحد أرسل إليهم شعيب عليه السلام .

يقول تعالى في سورة الحجر : ﴿ **وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ (٧٨) فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ (٧٩)** ﴾.

[الحجر : ٧٨ ، ٧٩] .

وفي سورة الشعراء : ﴿ **كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٧٩) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٠) أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلا تَبْخَسُوا**

النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ ﴾ [الشعراء : ١٧٦ - ١٩١].

الأيكة هي الشجر الكثيف الملتف . كـذبوا رسول الله شعيبًا وقد يطلق على الرسول رسلاً على اعتبار أن رسالة الأنبياء واحدة ومن كفر برسول واحد فكأنما كـفر بكل الرسل والأنبياء ثم أمرهم بتقوى الله وأخـبرهم أنه رسول أمين لا يكتم شيـئًا مما أوحاه الله إليه ولا يزيد فـي وحي الله ولا ينقص ولا يفتري عـلى الله كذبًا وقال لهم : ولا أسألكم عليـه من أجر ، أي إن تبليغ رسالة الله ودينه وهدايته يـستحق أجـرًا بل وأجرًا كبـيرًا لا يستـطيع بشر أن يدفعوه ولكنه يطلب الأجر من اللـه تعالى ثم أمرهم بإيفاء الكيل وألا يخـسـروا الميـزان وأن يزنوا كل أمـورهم بميـزان العـدل ولا ينقصـوا الناس حقوقهم ، ثم أمـرهـم ثانية أن يتقوا ويخـافوا الله الذي خلقـهم والذين من قبلهم من الأجـيال البـشرية والشـعوب والقبائل ، فـماذا كان ردهم على شعيب عليـه السلام ، قالوا إنما أنت من المسحرين أي المسـحورين وهكذا يتخبط الكافـرون فتارة يتهموا الرسل بأنهم مسحـورين وتارة يتهمونهم بأنهم ساحرون ،

وما أنت إلا بشر مثلنا أي لا تتـميز عنا فكيف يرسلك الله إلينا ؟ وهو عليـه السلام مميـز عليـهم بالوحي ، وهل يريدون أن يكون الرسـول إليهم مـلك فكيف يرونه ويكلمـونه وكـيف يقتـدون به والملك لا ينزل إلا على بشـر مصطفين مختـارين قد أعـدوا لهذه المهمة .

ثم من سفـاهتهم طلبوا أن يسقـط عليهم نبيهم حـجارة من السمـاء إن كان صادقًا فـيما يدعـيه ، فأخـذهم عذاب يوم الظلة سحابة استظلوا بها لم توقف الهـواء وارتفعت حرارة الجو بدرجة لا تطاق فنزلت عليهم السحـابة فأحرقتهم كـما أرسل الله عليهم صيـحة صاحـها جبـريل عليه السلام ، وكـان المؤمنون منهم قلة نجاهم الله تعالى مع شعيب ، ثم قال تعالى بعدها : ﴿ **وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ** ﴾ أي الغالب على أمره لا يمتنع عليه شيء ولا يقف شيء أمام مشيئته وقدرته وهو سبحانه وتعالى رحيم بالمؤمنين والتائبين والمسترحمين والراحمين .

وقال تعالى في سـورة العنكبوت : ﴿ **وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الآخِرَ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٣٦) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٣٧)** ﴾ [العنكبوت : ٣٦ ، ٣٧] .

وإلى مـدين أخاهم شـعـيبًا : أي أرسلنـا إلى شعب مـدين أخاهم شعـيبًا فهو منهم ومن أقـربائهم يعرفونه ويعرفـهم شهدوا صدقه وحسن أخلاقه وأمانته وتقواه .

ثم دعاهم شعيب إلى إخلاص العبادة لله وحده ونبذ - ترك - ما هم عليه من الشرك ودعوى التوحيد هي دعوة جميع الرسل، ثم نهاهم عن الإفساد في الأرض فكذبوه فأخذتهم الرجفة أي الزلزلة فأهلكتهم فأصبحوا في وقت الصباح في بيوتهم جثثًا هامدة لا حراك فيها .

وقد جمع الله سبحانه وتعالى عليهم بين الرجفة - الزلزلة - والصيحة - الصوت المهلك - والظلة - السحابة المحرقة - .

وقد كان شعيب عليه السلام على الصحيح قبل زمن موسى عليه السلام فإن الله تعالى لما ذكر نوحًا ثم هودًا ثم صالحًا ثم لوطًا ثم شعيبًا قال : ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملائه ، ومثل ذلك في سورة هود وفي سورة الحج وفي سورة العنكبوت بعد أن ذكر أمم الأنبياء وأحوالهم قال : وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات .

